حديث مقدار عمر السيدة
عائشة يوم الزواج

بقلم:

صلاح الدين بن أحمد الإدلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، رب تمم بالخير، واختم لنا بالخير، بفضلك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

ورَدَ حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عقد على السيدة عائشة رضي الله عنها وسنها ست سنوات وتزوجها وسنها تسع سنوات، وهذا النص إذا نظرنا إليه من حيث الزوجة فهو رواية تاريخية في مقدار سنها يوم زواجها، ولا يعدو أن يكون شأنا من شؤون الأسرة، ولكن إذا نظرنا إليه من حيث الزوجُ النبي الأكرم خاتم النبيين وإمام المرسلين صلى الله عليه وسلم فهو حديث من الأحاديث الفعلية، وينبغي الاهتمام به لأنه إذا ثبت أو إذا لم يثبت فسيكون فيه مجال للدراسات التي تستنبط وتستلهم الدروس والعبر من سيرة هذا الرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

فهل صح هذا الحديث سندا ومتنا؟؟، لا بد من الدراسة.

كنت قد وقفت على مقالة حول هذا الموضوع كتبها أحد الباحثين في تضعيف هذا الحديث من حيث السند والمتن، فقرأتها ووجدت أن من الممكن الاستفادة منها في التقاط بعض القرائن وإعادة البحث فيها وكتابتها من جديد، للخروج بنتيجة مؤسسة على مجموعة من القرائن الموصلة إلى القول الصواب بإذن الله.

ولضرورة تجلية وجه الصواب في هذه المسألة الهامة من مسائل السيرة النبوية الشريفة والروايات الحديثية فهذا بحث مدعم بالدليل في تاريخ ولادة السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي مقدار عمرها وقت العقد عليها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها وقت زفافها:

القول المشهور: هو أنه عقد عليها وهي بنت ست سنين وتزوجها وهي بنت تسع، أخذا بما ثبت عنها من قولها في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من المصادر الحديثية والتاريخية، وهذا يعني أنها وُلدت بعد البعثة النبوية بأربع سنين.

قال ابن اسحق في السيرة: ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سودة بنت زمعة عائشة بعد موت خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ابنة تسع سنين، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة. وروى ابن سعد في الطبقات نحوه من طرق عن عائشة.

قال أبو نعيم في معرفة الصحابة: وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وهي بنت ست سنين، وقيل بنت سبع، وابتنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع، لا أعلمهم اختلفوا في ذلك، وتوفي عنها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة.

قال ابن حجر في فتح الباري: وكان مولدها في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ولها نحو ثمانية عشر عاما.

وهذا مما أخذوه من الروايات التي روتها عائشة رضي الله عنها.

* **دليل القول المشهور**:

– روى البخاري ومسلم وابن أبي شيبة وابن حنبل وابن سعد وغيرهم من طرق متعددة بأسانيد صحيحة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين.

ورواه أبو عوانة في المستخرج من طريق عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنوات، أو هي بنت سبع، وزفت إليه وهي بنت تسع ولعَبها معها، وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة.

هذا وقد رُوي في هذا المعنى عدد من االروايات لكن عن عائشة ذاتها، فلا تقوي تلك الرواياتُ الرواية المذكورة هنا، لأنه إذا كان قد حصل لها وهَم ونسيان في مقدار عمرها فقد انسحب الوهَم على تلك الروايات كلها.

كلمة "تزوجها" قد ترِد بمعنى العقد، وهذا هو المقصود هنا.

فالحديث سنده صحيح، وقد أخطأ خطأ فاحشا من ظن أن هشام بن عروة تفرد بروايته وأنه من أوهامه.

– ولهذا الحديث شاهد من حديث ابن مسعود قد يُظن أن فيه متابعة صالحة لحديث عائشة، لكنه ضعيف:

فقد روى الترمذي في العلل الكبير عن يحيى بن أكثم، والنسائيُّ في السنن الكبرى عن إسحاق بن راهويه، والطبرانيُّ في الكبير عن محمد بن موسى بن حماد البربري ـ وهو ليس بالقوي ـ عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي، ثلاثتهم عن يحيى بن آدم عن إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السَبيعي عن أبي عبيدة عن

أبيه عبد الله بن مسعود أنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وهي ابنة ست سنين، ودخل بها وهي ابنة تسع سنين، وقُبض وهي ابنة ثمان عشرة.

ورواه ابن ماجه من طريق أبي أحمد محمد بن عبد الله الزبيري، والعقيليُّ في الضعفاء عن محمد بن موسى البلخي عن مالك بن سليمان الهروي ـ وهو ضعيف ـ، كلاهما عن إسرائيل به موصولا.

ووهِم شيخ الطبراني محمد بن موسى بن حماد في تسمية شيخ يحيى بن آدم، فجعله "عن شريك"، بدلا من أن يقول "عن إسرائيل"، والوهَم منه، لأنه ليس بالقوي، ولأنه خالف رواية الراويين اللذين روياه "عن يحيى بن آدم عن إسرائيل."

[أبو إسحاق السَبيعي عمرو بن عبد الله بن عبيد كوفي ثقة تغير حفظه بآخره، وقد يدلس الإسناد، ولد سنة 32 ومات سنة 127، ولم يصرح بالسماع. حفيده إسرائيل ممن سمعوا منه بعد تغير حفظه. أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود كوفي ثقة فيه لين مات سنة 81، مات أبوه وهو صغير ولم يسمع منه شيئا]. فهذا الإسناد ضعيف.

وزيادة على ضعف إسناد المروي هنا عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه فهو معلول، لأن الثابت عن أبي إسحاق أنه كان يرويه مرة عن أبي عبيدة مرسلا ومرة عن أبي عبيدة عن عائشة:

فقد رواه ابن سعد في الطبقات عن الفضل بن دكين، والعُقيليُّ عن علي بن عبد العزيز البغوي عن عبد الله بن رجاء، كلاهما عن إسرائيل به مرسلا، ورواه ابن سعد عن وكيع عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق به مرسلا كذلك.

ورواه النسائي في السنن الكبرى عن قتيبة بن سعيد عن عبثر بن القاسم عن مطرف بن طريف الكوفي عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة به نحوه. وهؤلاء الرواة ثقات.

هذا وقد أعلَّ الإمامُ البخاري ما رُوي عن أبي عبيدة عن أبيه، فقال ـ كما في العلل الكبير للترمذي ـ: [هذا خطأ، إنما هو "أبو إسحاق عن أبي عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة"، هكذا حدثوا عن إسرائيل عن أبي إسحاق، ويقولون "عن أبي عبيدة عن عائشة" أيضا].

وأعله النسائي في السنن الكبرى فقال: "مطرف بن طريف الكوفي أثبت من إسرائيل، وحديثه أشبه بالصواب". أي إنه يرجح أن الحديث هنا هو عن أبي عبيدة عن عائشة.

وحيث إن المروي في هذا عن ابن مسعود ضعيف الإسناد ومعلول فلا يصح تأييد حديث عائشة به.

[ملحوظة: أوقفتني تعليقات فضيلة الأخ الشيخ حاتم العوني حفظه الله بخير وعافية على طريقَيْ حديث ابن مسعود في سنن ابن ماجه والسنن الكبرى للنسائي، فجزاه الله خيرا.]

– وللحديث شاهد آخر من قول يزيد بن جابر الأزدي الشامي، فقد روى الحاكم من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمه يزيد بن يزيد بن جابر عن أبيه يزيد بن جابر أنه قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها ولها سبع سنين، ودخل بها ولها تسع سنين. [يزيد بن جابر ذكره ابن حبان في الثقات في التابعين].

الظاهر أن هذا التابعي قال ذلك القول وكان مما سمعه من بعض الرواة الذين رووه عن عائشة رضي الله عنها، فهو لا يفيد في تقوية ذلك القول، لأنه بذلك يكون قد رجع للمصدر ذاته.

القول الثاني في مقدار عمر السيدة عائشة رضي الله عنها

* يمكن أن يُقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقد زواجه على عائشة وهي ابنة أربع عشرة وتزوجها وهي ابنة سبع عشرة وقد قاربت ثماني عشرة، وهذا يعني أنها ولدت قبل البعثة بأربع سنين.

لقد جاء فحوى هذا القول في أحد النصوص عند ابن إسحاق، وفي كلام الطبري في أحد الموضعين اللذين ذكر فيهما ولادة عائشة رضي الله عنها، كما سيأتي في الفقرة الرابعة والخامسة من القرائن الدالة على هذا القول، وكذا في كلام ابن عبد البر في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير في أسماء المسلمين الأوائل، وهذا بخلاف قوله الذي ذكره في الاستيعاب.

القرائن التي تدل على أن عائشة رضي الله عنها ولدت قبل البعثة النبوية وليس بعدها

1 – عائشة أصغر من أختها أسماء رضي الله عنهما بعشر سنين، وقد وُلدت أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، أي قبل البعثة النبوية بأربع عشرة سنة، وهذا يعني أن عائشة ولدت قبل البعثة بأربع سنوات.

روى ابن عبد البر في الاستيعاب وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريقين عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد أنه قال: كانت أسماء بنت أبي بكر أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها. وهذا إسناد جيد.

وقال أبو نعيم في معرفة الصحابة في ترجمة أسماء: وُلدتْ قبل التأريخ بسبع وعشرين سنة، وتوفيت سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام ولها مئة سنة.

ومما يؤكد هذه الرواية في معرفة سنة ولادة أسماء ما روى أبو نعيم كذلك عنها أنها قالت: رأيت زيد بنَ عمرِو بنِ نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري. وقد توفي زيد وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله بخمس سنين، كما رواه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب، أي قبل الهجرة بثمانية عشر عاما، فيكون عمرها وقت سماعها إياه تسع سنين، وهذا معقول، لأن من يضبط مثل هذا السماع منه لا يكون دون تسع في الغالب.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: [قال أبو نعيم: وُلدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: وتوفيت أسماء بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وماتت وقد بلغت مئة سنة].

2 – روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعبُ {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر}، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.

قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: "كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين". وإذا كان ذلك كذلك فهذا يعني أنها نزلت قبل الهجرة بخمس سنين وبعد البعثة بثمان.

وقال ابن سيده في المحْكم وابن منظور في لسان العرب: الجارية: الفتيَّة من النساء. والفَتِيَّة هي الشابّة. وكأنهم يطلقون لفظة الجارية على البنت في أول فتائها وشبابها حيث تجري جيئة وذهابا.

فكم كان عمر عائشة عند نزول قوله تعالى {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} الذي نزل بعد البعثة بثمان سنين؟.!

أما على القول المشهور فيكون عمرها أربع سنوات، وبنت الأربع لا يُقال عنها لفظ الجارية عند الإطلاق، أي في غير المقابلة بين الذكر والأنثى، فالظاهر أن الأصح هو أنه كان عمرها وقت نزول الآية ثنتي عشرة سنة، وهذا هو المنسجم مع أصل معنى الجارية في اللغة.

3 – روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "لم أعقلْ أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ...". الحديثَ.

وجه الدلالة من هذه الرواية أمران:

أولهما أن الطفل لا يدرك في العادة تديُّنَ والديه بدين مغاير لدين أكثر الناس مِن حوله قبل سن الرابعة على الأقل، ولو كانت عائشة قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة وكان أول وعيها بما حولها في السنة الثامنة منها لكان قولها "لم أعقلْ أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين" تحصيلَ حاصل غيرَ ذي فائدة، لأن أبا بكر معلوم سبْقه إلى الإسلام، وأم رومان أسلمت بمكة قديما، كما قال ابن سعد.

ولكن إذا كانت قد وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات وكان أول وعيها بما حولها في السنة الأولى من البعثة فيكون لهذا القول فائدة، وهي أنها . أولَ ما بدأت تعي ما حولها . رأت والديها كليهما يدينان بدين الإسلام، وليس والدَها فقط.

وهذا دليل على أن ولادتها كانت قبل البعثة بنحو أربع سنوات، وهذا ما دلت عليه القرائن الأخرى.

وثانيهما أن قولها "فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَل الحبشة" معطوفًا على إدراكها لأبويها وهما يدينان الدين فيه إشارة خفيفة إلى أنها كانت إذ ذاك واعية لهذا الحدث، وخروجُ الصحابة من مكة للهجرة قِبَل الحبشة كان في أواسط السنة الخامسة من البعثة، وهجرتهم الثانية إليها في أواخر الخامسة أو أوائل السادسة.

ولو كانت عائشة قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة لما كان ممكنا لها أن تدرك ما حدث في أوائل السادسة، ولكن إذا كانت قد وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات فهذا يعني إمكان إدراكها لذلك بوضوح.

4 – قال محمد بن إسحاق في السيرة النبوية في ذكر أسماء أوائل من أسلموا: "ثم أسلم ناس من قبائل العرب، منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، ... ثم إن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى لله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء واستسر به إلى أن أمِر بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}."

ونقله عن ابن إسحاق دون إنكار أو اعتراض: ابنُ أبي خيثمة في التاريخ الكبير، والبيهقي في دلائل النبوة، وابن عبد البر في كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير، والكَلاعي في الاكتفاء، وابن كثير في البداية والنهاية، والمقريزي في إمتاع الأسماع.

وكلام ابن إسحاق يعني أن عائشة كانت مع من أسلموا في فترة الدعوة السرية بعد البعثة، وأنها كانت صغيرة، وإذا كانت تلك الفترة قد دامت ثلاث سنوات فلعل عائشة قد أحضِرت إلى بعض تلك المجالس في أواخر تلك الفترة، وعلى القول بأنها وُلدت بعد البعثة بأربع سنين فهذا لا يستقيم أصلا، إذ ما كانت . على هذا القول . قد وُلدت بعد، وأما على القول الثاني فيكون عمرها في ذلك الوقت ست سنوات أو سبعا، ولعل ابن إسحاق ذكرها في المسلمين الأولين رغم صغر سنها لمقام والدها أبي بكر رضوان الله عليه، ولتكون معطوفة على أختها أسماء التي هي أكبر منها بعشر سنوات.

5 – قال الطبري في تاريخه [3/ 425 . 426]: "تزوج أبو بكر في الجاهلية قتَيلة ابنة عبد العُزَّى فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان بنت عامر فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فكل هؤلاء الأربعة من أولاده وُلدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية."

صرح الطبري بأن أبا بكر تزوج زوجته الأولى قتَيلة ابنة عبد العُزَّى في الجاهلية وأنه تزوج أيضا زوجته الثانية أم رومان بنت عامر في الجاهلية، فلا معنى لأن يقول بعد ذلك إنه تزوجهما في الجاهلية، لأنه تكرار لا لفائدة، فقوله "كل هؤلاء الأربعة من أولاده وُلدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية" إنما يعني به أن أولئك الأربعة من أولاده وُلدوا في الجاهلية قبل البعثة.

فهذا نص تاريخي واضح صريح في أن عائشة رضي الله عنها وُلدت قبل البعثة النبوية.

6 – روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها أن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما قالت بمكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيْ رسولَ الله، ألا تتزوج؟!. قال: ومَن؟. قالت: إن شئتَ بكرا وإن شئتَ ثيبا. قال: فمَن البكر؟. قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟. قالت: سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فاذكريهما عليَّ. وكان هذا بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، كما بينته الروايات الأخرى.

يدل السياق على أن خولة رضي الله عنها أرادت أن تخطِب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة لأنه أصبح بلا زوجة، وفي غاية البعد أن تخطِب له في هذه الحال من لها من العمر ست سنوات!!. لكن إذا كانت بنت أربع عشرة سنة فهذا معقول.

– لا شك في أن اجتماع هذه القرائن على القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم عقد عقد النكاح على عائشة وعمرها أربعة عشر عاما وتزوجها وعمرها قرابة ثمانية عشر عاما يدل دلالة قوية على أن هذا هو الصحيح.

– وأما ما ثبت عن عائشة من أن رسول الله تزوجها وهي ابنة تسع سنين فلا بد أن يكون وهَما، وقد عاشت رضي الله عنها ـ على القول المرجَّح هنا ـ خمسة وسبعين عاما، فلعلها قد أصابها شيء من النسيان في هذا الأمر فروته على التوهم.

ويبدو أن توهيم القول المروي عن عائشة رضي الله عنها لا مناص عنه، وذلك لاجتماع تلك القرائن التي تقدم ذكرها على خلافه.

– خلاصة البحث:

ترجح من اجتماع عدد من القرائن أن السيدة عائشة رضي الله عنها وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عقد عليها في السنة العاشرة من البعثة وعمرها أربعة عشر عاما، قبل الهجرة بثلاث سنوات وتزوجها في أواخر السنة الأولى بعد الهجرة وعمرها يقرُب من ثمانية عشر عاما.

الحديث الوارد في تحديد عمر عائشة بست سنوات يوم العقد وبتسع سنوات يوم الزواج مروي عنها بعدة أسانيد صحيحة، ولكنه مخالف للقرائن التاريخية الثابتة، فهو شاذ، ومحمول على أنه من الأوهام.

هذا وقد ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى أن الحديث إذا خالف متنُه ما هو أقوى ثبوتا منه من ثوابت التاريخ فإنه يُرد، لأن ذلك يدل على أنه قد تطرق إليه الخلل بسبب وقوع أحد رواته في الوهَم. والله أعلم.

وكتبه صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، والحمد لله رب العالمين.

أقول: وهذه قرينة جديدة – بعد تلك القرائن الست – وقفت عليها اليوم:

7 – روى الطحاوي في أحكام القرآن عن علي بن عبد الرحمن عن المنجاب بن الحارث التميمي، وعن فهد بن سليمان عن محمد بن سعيد الأصبهاني، كلاهما عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "وما علمُ أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!، وإنما كانا غلامين صغيرين."

[علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة كوفي نزيل مصر ثقة مات سنة 272. والمنجاب بن الحارث كوفي ذكره ابن حبان في الثقات وروى عنه مسلم روايات عديدة في صحيحه ووثقه الذهبي وابن حجر، ومات سنة 231. وفهد بن سليمان كوفي قدم مصر ثقة مات سنة 275. ومحمد بن سعيد الأصبهاني كوفي ثقة مات سنة 220. علي بن مسهر كوفي ثقة مات سنة 189. هشام بن عروة بن الزبير مدني قدم العراق، ثقة ربما دلس الإسناد عن أبيه بالعراق، ومات سنة 146. عروة بن الزبير ثقة مات سنة 94 تقريبا.]

ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن منجاب بن الحارث عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة أنه قال قالت عائشة. فذكره. [محمد بن عبد الله الحضرمي مطين كوفي ثقة حافظ مات سنة 297 وعاش 95 سنة]. وهذا الطريق منقطع بين هشام بن عروة وعائشة.

ورواه ابن عساكر عن أبي الحسن علي بن الحسن الموازيني عن أبي الحسين بن أبي نصر عن أبي بكر يوسف بن القاسم عن أحمد بن محمد بن ساكن عن علي بن الهيثم عن المعلى بن منصور عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

[علي بن الحسن الموازيني دمشقي ثقة مات سنة 514. محمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر دمشقي عدل مأمون مات سنة 446. يوسف بن القاسم الميانجي ثقة ولد قبل سنة 290 ومات سنة 375. أحمد بن محمد بن ساكن الزنجاني صدوق مات قبل سنة 300. علي بن الهيثم بغدادي روى عنه البخاري حديثا في صحيحه، وقال عنه ابن حجر مقبول. المعلى بن منصور رازي نزيل بغداد ثقة فيه لين مات سنة 211]. وعلقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن علي بن مسهر به متصل الإسناد، فلعل الراجح أن هذا القول ثابت عن عائشة رضي الله عنها.

وإذا كان ذلك كذلك فمن المهم معرفة سنة ولادة أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما لتتم المقارنة بينهما وبين عائشة في السن، وكلاهما ولدا قبل الهجرة بعشر سنوات تقريبا، وعائشة ـ على القول المشهور ـ أصغر من هذين الصحابيين بسنة، فلا يستقيم – إذا كانت أصغر منهما سنا – أن تقول عنهما "وإنما كانا غلامين صغيرين."

لكنها – على القول الثاني – أكبر منهما بسبع سنوات، فكل منهما – يوم زواجها الذي كان بعد الهجرة بقرابة عام – كان عمره أحد عشر عاما وهي بنت ثمانية عشر عاما، فهي أكثر منهما وعيا للأحداث، فمن المعقول أن تقول عنهما بأنهما كانا غلامين صغيرين. فالحمد لله على توفيقه.

أقول: وهذه قرينة جديدة وقفت عليها بعد ذلك:

8 – روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والدولابي في الذرية الطاهرة والطحاوي في مشكل الآثار والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في دلائل النبوة من طريق محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة ابنة الحسين حدثته أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قُبض فيه قال لفاطمة "يا بنية أحْني علي"، فأحْنت عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفتْ عنه وهي تبكي، ثم قال لها "أحني علي يا بنية"، فأحْنتْ عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت عنه وهي تضحك، فقالت عائشة: أي بنية أخبريني ماذا ناجاك أبوك؟. فلما قبضه الله تعالى قالت فاطمة: أما الآن فنعم، ناجاني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة وأنه عارضني القرآن العامَ مرتين، فأبكاني ذلك، ثم ناجاني في الآخرة فأخبرني أني أول أهله لحوقا به وقال "إنك سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من البتول مريم بنت عمران". فضحكتُ لذلك.

[محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان مدني ضعيف مات سنة 145. أمه فاطمة ابنة الحسين الشهيد رضي الله عنه روت عن جماعة من الصحابة وروى عنها جماعة من الثقات وذكرها ابن حبان في الثقات، ووثقها ابن حجر]. فهذا السند ضعيف.

– وجه الدلالة هو أن عائشة خاطبت فاطمة رضي الله تعالى عنهما في هذه الرواية بقولها لها "أيْ بنية"، وقد وُلدت فاطمة ـ على الأشهَر ـ قبل النبوة بخمس سنوات، أو قُبيل البعثة أو بُعيدها بقليل.

وإذا كانت عائشة قد وُلدت بعد البعثة بأربع سنوات فهذا يعني أن فاطمة أكبر سنا منها بتسع سنوات أو أربع!، ومن المستغرب والمستبعد جدا أن تقول الصغيرة لمن هي أكبر منها بمثل هذا القدر "أي بنية"، حتى ولو كانت هي زوجةَ أبيها.

أما إذا كانت عائشة قد وُلدت قبل البعثة بأربع سنوات فهذا يعني أن فاطمة أكبرُ سنا منها بسنة وربما ببضعة أشهر أو أصغرُ منها بثلاث سنوات، فمن رجَّح أن فاطمة أصغر بثلاث سنوات فليس من المستبعد أن تقول الكبيرة للصغيرة "أي بنية"، ومن رجح أن فاطمة أكبر بسنة أو ببضعة أشهر – وهو القول الأشهَر – فليس لهذا الفرق الضئيل تأثير يمنع أن تقول الصغيرة للكبيرة "أي بنية" إذا كانت الصغيرة هي زوجةَ أبيها والكبيرة هي ربيبتَها.

ففي هذه الرواية قرينة واضحة على أن السيدة عائشة قد وُلدت قبل البعثة النبوية، ولعلها بأربع سنوات، وليس بعدها بأربع سنوات، وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة الإسناد فإنها لا بأس بها في الشواهد، فالقرائن بابها واسع.

أقول: وهذه قرينة جديدة ترجحت لي دلالتها الآن:

9 – روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن راهويه وابن حنبل والطبري في التاريخ والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي من طرق عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن عائشة أنها قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: أيْ رسول الله ألا تزَوَّجُ؟!. قال: ومن؟. قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا. قال: فمَن البكر؟. قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟. قالت: سودة بنت زمعة.

في هذا الحديث أن خولة بنت حكيم قالت لأبي بكر: أرسلني رسولُ الله أخطِب عليه عائشة. فقال لها انتظري، وخرج، وقالت لها أم رومان والدة عائشة: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه. فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصْبِئٌ صاحبَنا مُدْخِله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟!. قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقوْلَ هذه تقول؟!. قال: إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عِدَتِه التي وعده.

يرى بعض الباحثين أن عائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي قبل خِطبتها من النبي صلى الله عليه وسلم!، وأن ذلك قرينة على أنها كانت وقت خطبة النبي لها فوق سن السادسة بكثير.

وأرى أن هذا التصور غير دقيق، لأن عائشة لم تكن مخطوبة لجبير بن مطعم، وإنما كان المطعم بن عدي قد ذكرها مجرد ذكر لتكون مخطوبة لابنه وأخذ وعدا من أبي بكر بالموافقة، ومثل هذا كثيرا ما يقع بين الناس حتى وإن كانت المخطوبة ومن خُطبت له طفلين صغيرين، وقد تكون بنت عام أو عامين.

كنت قد سمعت أحد الإخوة يقرر هذا الاستدلال قبل سنوات، وأنها كانت مخطوبة لجبير بن مطعم، ولكنني لم أدرجه في القرائن المذكورة لأنني لم أجده مقنعا، ثم ظهر لي الآن وجه دلالته على أن عائشة قد وُلدت قبل النبوة:

سياق القصة يشير إلى أن المطعم بن عدي وزوجته كانا متمسكين بالشرك ويكرهان الدخول في الإسلام، كما يكرهان أن يتحول ابنهما إلى هذا الدين الجديد إذا تم زواجه بعائشة، ومن المعلوم ما كان عليه أبو بكر رضي الله عنه من الحرص الشديد على دعوة الناس إلى الدخول في هذا الدين، فمن المستبعد جدا إذا كانت عائشة رضي الله عنها قد وُلدت بعد البعثة النبوية بأربع سنوات أن يذكرها المطعم بن عدي ـ مع شدة تمسكه بالشرك ـ خاطبا إياها على ابنه ويوافقَ أبو بكر على ذلك.

فلم يبق سوى أنَّ ذكْرَ المطعم بن عدي لعائشة كي تكون مخطوبة لابنه وأخْذَ الوعد بذلك من أبي بكر إنما كان قبل البعثة النبوية، وهذا يعني أن عائشة كانت قد ولدت قبل البعثة النبوية، وليس بعدها.

10 – روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لما كان يوم أحد، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القِرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم. قال البخاري: "وقال غيره تنقلان القرب". وهي كذلك في صحيح مسلم، ونقل ابن حجر أنها كذلك في مستخرج الإسماعيلي.

كان مقدار عمر عائشة يوم غزوة أحد – على القول المشهور – أحد عشر عاما، وعلى القول المهجور تسعة عشر عاما.

قال الخطابي في كتابه أعلام الحديث: [قوله "تنقزُان" معنى النقز الوثب، وأحسبه "تزفِران"، والزَفْر: حمْل القِرب الثقال، ويقال للقِربة نفسها الزِفر].

أقول: "تنقزُان القِرَب" لا معنى له هنا، وقد أحسن الخطابي رحمه الله إذ فسر الزَفر بحمل القرب الثقال، وفي لسان العرب لابن منظور ما يدل على أن الاشتقاق يشهد لذلك.

وإذا كان الأمر كذلك فهذا لا يستقيم على القول المشهور، لأن مَن كان لها من العمر أحد عشر عاما واشتهر عنها أنها في صِغرها كانت نحيفة لم تحمل اللحم لا تقوى غالبا على حمل قرب الماء الثقال لتفرغها في أفواه الجرحى ثم ترجعَ فتملأها ماء وتعودَ بها من جديد، بخلاف من كان لها تسعة عشر عاما، وهذا يعني أن هذا هو القول الراجح.

* قد لا تكون كل واحدة من القرائن المتقدمة دليلا كافيا على حصول الوهَم في الرواية المشهورة عن السيدة عائشة رضي الله عنها، ولكن اجتماع تلك القرائن يشكل دليلا قويا على ذلك.

* **جواب عن حوار دار حول هذا المبحث:**

نصَّ القرآن الكريم على عدة اللائي لم يحضن من النساء، فقال سبحانه {واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن}، والذين فهموا من فحوى النص القرآني هنا أن اللائي لم يحضن من النساء المتزوجات قد تمَّ العقد عليهن قبل البلوغ يظنون أن الأخذ بالقول الثاني في مقدار عمر السيدة عائشة يُراد منه إبطال ما فهموه من فحوى الآية، ولا تلازم بين المسألتين، لأن القول الثاني في مقدار عمر السيدة عائشة مسألة تاريخية، وكونها صحت أو لم تصح لا يؤكد ولا يلغي صحة استدلالهم بالآية على ذلك الفهم.

السؤال الذي ربما يثار الآن هو: هل زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي في سن صغيرة فيه مثلبة ونقص نريد – بترجيح القول الثاني هنا – تنزيه مقامه صلى الله عليه وسلم عنهما؟.!

أقول:

ليس في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها قبل البلوغ بالحيض – إن ثبت وقوعه – مثلبة ونقص أصلا، ولو صحَّ وثبت وقوعه فالواجب التسليم التام والإيمان الجازم بأنه كان لحكمة سواء فهمناها أو لم نفهمها.

ومَن توهم أن توثيق هذا الخبر التاريخي يُراد له أن يحمل دلالاتٍ تناقض فحوى نص القرآن الكريم فقد أبعد النُجْعة، ومسألة البحث في مقدار عمر السيدة عائشة وقت الزواج ليست من هذا الباب، **وإنما هي مسألة تاريخية، قد تصح وقد لا تصح**، وشتان بين جواز وقوع الشيء وبين تحقق وقوعه، وبينهما فرق كبير.

هذا الموضوع التاريخي لا ينبغي البحث فيه بسبب أن الثقافة المعاصرة لم تعدْ تستوعب مثل هذه الفوارق العمْرية بين الزوجين، **فما ثبت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله هو الميزان الذي توزن به الأفكار والآراء، لا العكس.**

قال ربنا جل وعلا {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيتَ ويسلموا تسليما}.

الروايات التاريخية في أن سنها وقت الزواج كان أكثر من تسعٍ ببضع سنوات هي روايات متعددة في كتب الحديث وكتب التاريخ، **وهي قرائن لا يمكن أن نسمي أي واحدة منها دليلا مستقلا، لكن مجموعها**

يشكل دليلا واضحا قويا لا يجوز تجاهله، كما لا يمكن ترجيح ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها على مجموع تلك القرائن، لأن القرائن المتعددة إذا بلغت مثل ذلك المبلغ فهي أقوى من قول صحابي واحد غير معصوم عن الذهول والخطأ والنسيان.

عائشة رضي الله عنها لا يمكن أن تغفُل عن مثل هذا الأمر الهامّ في حياتها والذي يخصها في شخصها، ولكن إذا اعتراها النسيان لكِبَر السن فهذا لا يمكن أن يُستبعد.

كتبُ الحديث أقوى في الموثوقية من كتب التاريخ، والمدار على صحة الأسانيد السالمة من العلل القادحة ومن الشذوذ، وعلى معرفةِ ما تفرد به راويه وما وقع فيه تعدد الطرق، وهذا من المتفق عليه، والمسألة هنا ليست المقارنة بين كتب الحديث وكتب التاريخ، ولكنها المقارنة بين حديث فعْلي ثبت من طريق صحابي واحد في كتب الحديث وبين عشر قرائن من كتب الحديث وكتب التاريخ، وأرى هنا أنه لا بد من ترجيح مجموع تلك القرائن على الرواية التي ثبتت عن صحابي واحد في كتب الحديث. والله أعلم.

أنهيت كتابة أصل البحث بقرائنه الست الأولى منذ سنوات، وأتممت كتابته بعد الإضافات في 18/ 6/ 1436، الموافق 7/ 4/ 2015، وكتبه صلاح الدين الإدلبي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

حوار مع الأخ الفاضل حول مبحث مقدار عمر السيدة عائشة رضي الله عنها يوم الزواج

* يرى أحد الإخوة الأفاضل أن ما كتبتُه عن مقدار عمر السيدة عائشة رضي الله عنها يوم الزواج هو عون للعالَمانيين والتنويريين الظلاميين الذين يحاولون بشتى الوسائل الطعن بالأحاديث الصحيحة والتركيزَ على التقليل من قيمة الصحيحين، وخاصة صحيح البخاري، والتشكيك بما ورد فيه بحجج واهية، وأنه كان يتوقع مني – أمام الهجمة الشرسة من أولئك المفسدين على عمر السيدة عائشة رضي الله عنها حين زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم الوارد في أصح كتابين من كتب الحديث الشريف – أن أكون أول من يتصدى لذلك بالأدلة الدامغة والحجج الساطعة.

أقول:

العالَمانيون يحاولون بشتى الوسائل الطعن بالأحاديث الصحيحة، وهنالك هجمة شرسة من المفسدين على كتب السنة الشريفة وعلى علمائنا وأئمتنا الذين أفنَوا أعمارهم في خدمتها، هذا صحيح بادٍ للعيان، وربما يكون القادم – إذا بقينا نائمين – أسوأ مما قبله، وأرى أن التصدي لتلك الحملة الشرسة بالأدلة الدامغة والحجج الساطعة من أوجب الواجبات.

الذي يتصدى لهذا – حسبما أرى والله أعلم – هو أحد اثنين: إما أن يكون معتقدا بأن أحاديث الصحيحين مما يُقطع بصحتها سوى المواضع اليسيرة المستثناة التي أشار إليها ابن الصلاح رحمه الله، وإما أن يقف موقف الباحث عن الحقيقة المستهدي بالكتاب المنير الذي يقول فيه ربنا جل شأنه {قل هاتوا برهانكم}.

لستُ – بحمد الله تعالى – من النوع الأول، وحتى يعرف القارئ لمَ لا أكون من ذلك النوع فعليه أن يقرأ أولا مبحث "أحاديث الصحيحين هل ضعَّف بعض العلماء بعضها؟"، ففيه أسماء عشرات العلماء الذين ضعفوا بعض روايات الصحيحين، ابتداء من طبقة شيوخ البخاري ومسلم ومن طبقتهما ومن الطبقات التالية لهما مرورا بابن عبد البر والنووي وابن حجر وغيرهم.

أنا – أيها الأخ الفاضل – أبحث عن الدليل والبرهان، لأن هذا هو المطلوب منا جميعا إذا كنا نحتكم للقرآن الكريم الذي هو الهدى والضياء والشفاء.

نحن اليوم أصبحنا شبه محاصَرين بالشبه التي يوردها علينا أصحاب تلك الحملة الشرسة ويضيع فيها كثير من الناس، وتضيع فيها الأجيال ضياعا مهلكا عندما يرون الردود الضعيفة، فيظنون أن هذا هو الدين، فيزهدون فيه جملة وتفصيلا وينسلخون منه، والعياذ بالله.

أسباب ذلك كثيرة، نشترك في إدراك كثير منها وفي سبل معالجتها، ولكن هنالك شيء قد يغفل بعضنا عنه، ألا وهو التقصير في البحث العلمي والجمودُ على بعض المقولات غيرِ الثابتة وجعْلَها في مصاف القطعيات وهي ليست كذلك.

أكرر القول بأن القارئ لهذا الحوار قد يصعب عليه فهمه حتى يقرأ قبله مبحث "أحاديث الصحيحين هل ضعَّف بعض العلماء بعضها؟".

* **مثال:**

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟. قال: "ويلك، وما أعددتَ لها؟". قال: ما أعددتُ لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: "إنك مع من أحببت". فقلنا: ونحن كذلك؟. قال: "نعم". ففرحنا يومئذ فرحا شديدا، فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني، فقال: "إن أُخِّرَ هذا **فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**".

يقول كثير من العلماء المتأخرين في مثل هذا "رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما" ويكتفون بذلك، وغالبا ما يقولون إن كل الألفاظ المروية في الصحيحين صحيحة!، ونحن اليوم نجني نتائج التقصير في دراسة تلك الأحاديث المروية عن رسولنا صلى الله عليه وسلم.

يرى كل ذي لب أن هذه الرواية تخالف الواقع المشاهَد، فقد عاش ذلك الغلام ومات ومات بعده أجيال وأجيال ولم تقم الساعة حتى الآن.

تجرأ الطاعنون – بسبب ذلك – وقالوا إن هذا الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا إن الشيخين مقصران في إيراد أمثال هذه الروايات الموضوعة في الصحيحين!.

لمعرفة اللفظ الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد من معرفة الرواية الأخرى لهذا الحديث، وهي كذلك في الصحيحين، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رجال

من الأعراب جفاة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه متى الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: "إن يعشْ هذا **لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**".

والحديث – حسب هذه الرواية – يخبرهم أنه إن يعشْ هذا الغلام فإنه لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم أنتم، أي موتكم، يعني بذلك أنه لا يبقى منكم أحد بعد انخرام ذلك القرن، وموت الإنسان هو قيام ساعته، وهو الذي ينبغي للإنسان العاقل أن يهتم به، وأما قيام الساعة الذي يعني انقضاء الدنيا فمما لا ينبغي أن يشغل المرء به نفسَه، والحديث بهذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها صحيح سندا ومتنا.

أما رواية أنس بن مالك فقد وقع فيها خلل في أحرف من كلمة "ساعتكم"، فأصبحت "حتى تقوم الساعة"، وشتان بينهما.

– حديث أنس رضي الله عنه الذي وقع فيه الوهَم رواه عنه أكثر من واحد من التابعين الثقات، وهذا يعني – عند علماء الحديث – أن الوهَم منه.

– هذا ولم أجد حديث أنس هذا في كتاب التتبع للدارقطني ولا في غيره من كتب العلل، فهل يقول فيه ابن الصلاح رحمه الله ومن يوافقونه إنه من المقطوع بصحته؟!.

وههنا أمر هام ينبغي لفت النظر إليه، هو أن الإمامين البخاري ومسلما رحمهما الله أشارا في كتابيهما إلى ثبوت اللفظ المروي عن عائشة وعدم ثبوت اللفظ المروي عن أنس رضي الله عنهما، ولكل منهما طريقته في ذلك. [انظر إن شئت بحثا عنوانه حديث "إن يعش هذا الغلام فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة"].

وحيث إن كثيرا من المشايخ يقولون للناس إن كل الألفاظ الواردة في الصحيحين صحيحة، وحيث إن الناس وجدوا رواية فيهما تخالف الواقع المشاهَد، فما النتيجة المتوقعة؟!.

النتيجة اهتزاز ثقة الأجيال بكلام كثير من المشايخ، **والأخطر اهتزاز الثقة بروايات الصحيحين كلها، وهذه هي الطامة.**

عندما يصر المرء على عدم الاعتراف بما وقع من تقصير فإنه يكسب بعض الناس الذين تأبى عليهم عواطفهم أن يكون في بعض الموروث – الذي ليس من الثوابت – بعض الأخطاء، ويخسر ثقةَ الكثير من الناس الذين ما عادوا يقبلون قولا بدون دليله، وربما ثقةَ الكثير من أبناء الجيل والأجيال اللاحقة، وأظن أن الخسارة هنا أكبر بكثير.

وعندما يعترف المرء بما وقع من تقصير فإنه يخسر بعض الناس الذين تأبى عليهم عواطفهم أن يكون في بعض الموروث – الذي ليس من الثوابت – بعض الأخطاء، ويكسب ثقة الكثير من الناس الذين ما عادوا يقبلون قولا بدون دليله، وربما ثقة الكثير من أبناء الجيل والأجيال اللاحقة، وأظن أن الربح هنا أكبر بكثير.

ليس المهم مسألة الربح والخسارة، ولكن المهم البحث عن الحق المؤصل بالدليل واتباعه مهما قال القائلون.

* قال الأخ الفاضل: "الهدف الأساسي من محاولات هؤلاء المحرفين المشككين في عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند زواجها وهو تسع سنوات هو الطعن في حكم شرعي صرح به القرآن الكريم وهو الزواج من الصغيرة الذي يشير له قوله تعالى {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} وأجمع عليه فقهاء الأمة وفق ضوابط شرعية".

أقول:

مسألة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة وسنها تسع سنوات مسألة تاريخية، نريد أن نعرف هل وقعت وهي في هذه السن أو لا؟، ويهمنا نتيجة البحث، ولا يهمنا – هنا – مسألة الزواج بالصغيرة وأدلتها والضوابط الشرعية، ولا ما الذي يريده المشككون.

* قال الأخ الفاضل: "أرجو أنْ ينظر في هذه القضية قبل اتهام السيدة عائشة بالوهم والنسيان هل كان الزواج في هذا السن متعارفا عليه في البيئة العربية ولدى جميع الأمم في ذلك الوقت؟، بل وحتى لفترة قريبة من عصرنا؟، وهذا الكاتب الانكليزي شكسبير يذكر في إحدى رواياته الأدبية كيف كان ذلك منتشرا".

أقول:

لو كان الزواج بالصغيرات منتشرا في كل الأمم والشعوب فإن هذا لا يُعد قرينة على أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، والأصل عدم الثبوت حتى يأتي دليل الإثبات، فإن ثبت بدليل واضح ليس له معارض سلمنا بذلك، وإلا فلا.

* قال الأخ الفاضل: "لم نسمع عن أحد من العلماء السابقين من قال بهذا القول". أي القول بأن عائشة رضي الله عنها ولدت قبل البعثة النبوية.

أقول:

العلماء السابقون كانت بين أيديهم الروايات الكثيرة الصريحة عن عائشة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عليها وعمرها ست سنوات وتزوجها وعمرها تسع سنوات، فمن المنطقي أن يقولوا بهذا، وأما القرائن فهذه تحتاج لجمع ومراجعة ومقابلة وتمحيص، ولكن حيث إنهم رأوا فيها مسألة تاريخية بحتة فيبدو أنهم لم ينشطوا لها.

ولم أجد من قرن بين حديث عائشة رضي الله عنها وقرينة تاريخية مغايرة سوى الإمام الذهبي رحمه الله، كما سيأتي، ولكنه لم يقف عندها طويلا.

* يرى الأخ الفاضل أن الطبري ذكر الرواية بأن عائشة وُلدت في الجاهلية عن علي بن محمد عمن حدثه، وهذا الذي حدثه مجهول غير معروف، ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي.

أقول:

علي بن محمد المدائني صدوق ثقة مات سنة 224، وقد قال الطبري في هذه الرواية: "حدَّث علي بن محمد عمَّن حدثه ومَن ذكرتُ من شيوخه، ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي". وساق نص الرواية، فالرواية يرويها المدائني عن عدد من شيوخه، وليس عن راو واحد مجهول، ويقويها موافقة الواقدي والكلبي، وهذا يدخل في القرائن التاريخية دون شك.

ولو قيل هل هذا الإسناد صحيح؟، فأقول: لا، ولكن هذه قرينة وليست بدليل، إنما الدليل هو مجموع القرائن، وهي هنا بحمد الله عشر قرائن.

* ذكر الأخ الفاضل حديث عبد الله بن صفوان عن عائشة، وفيه قولها "تزوجني رسول الله لسبع سنين وأهدِيت إليه لتسع سنين"، وذكر الحديث عن يوم زفافها وإدخالها على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مثل ذلك، وذكر عددا من الروايات عنها أنها قالت مثل ذلك.

أقول:

هذا لا يفيد أمرا زائدا على ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها من قولها، فلو جاء عنها حديثان أو ثلاثة أو أكثر وقلنا إنه حصل لها شيء من الوهَم عند كبر السن فلا جديد، ولكن الذي يفيد في الموضوع هنا أن تأتي رواية عن أحد الصحابة الآخرين بسند صحيح بمثل ما ثبت عنها من أنها كانت يوم زواجها بنت تسع سنين، وهذا ما لم أجده حتى الآن.

وذكرت في أصل البحث ما رُوي عن عبد الله بن مسعود مما يؤيد قول عائشة، وبينت أنه ضعيف ومعلول.

* قال الأخ الفاضل: "هل يليق نسبة الوهَم لها؟!".

أقول:

إذا حصل لها هذا فعلا فلمَ لا يليق؟، فهذا ليس فيه تهمة انتقاص، وقد أشارت هي رضي الله عنها إلى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهِم في بعض الروايات، فما استنكره أحد، ولا قال أحد إنه لا يليق.

ووهِم أنس بن مالك رضي الله عنه حيث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال"إن أُخِّرَ هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة"، وهذا رواه أربعة من الرواة عن أنس، وعرَفنا تصحيح الرواية من حديث عائشة رضي الله عنها إذ روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن يعشْ هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم". وهنالك فرق كبير بين قوله "حتى تقوم الساعة"، وبين قوله "حتى تقوم عليكم ساعتكم".

* قال الأخ الفاضل: "إذا كانت السيدة عائشة وهِمت بقولها فكيف بفعلها عندما تلعب بلعب لا يلعب فيها إلا صغار السنّ ولا يلعب بها الكبار، إذا كان عمر السيدة عائشة يزيد على العشرين، بل كان عمرها بعد غزوة تبوك فاق السابعة والعشرين".

ثم ذكر هنا ثلاثة أحاديث يحتج بها:

ذكر الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحبُ لي، فصرختْ بي، فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، فأخذتْ بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج، حتى سكن بعض نفَسي، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتْني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين. وقال: "هذا لا يمكن أن يتطرقه الوهم، لأنه حكاية حال قاطع بصغر سنها، وليس قولا صادرا عنها".

وذكر الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من طريق عروة كذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحبُ يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي فيلعبن معي.

وذكر الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بناتٍ لعائشة لعبٍ، فقال: "ما هذا يا عائشة؟". قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: "ما هذا الذي أرى وسطهن؟". قالت: فرس. قال: "وما هذا الذي عليه؟". قالت: جناحان. قال: "فرس له جناحان؟!". قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟!. قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه.

أقول:

جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت يوم زفافها تلعب بالأرجوحة مع صواحبها، وجاء عنها أنه كان لها لعَب من البنات تلعب بهن بعد زواجها مع صواحبها كذلك، وكأن الأخ الفاضل يقول: إذا كانت سنها يوم الزواج تسع سنين فهذا الذي روته عن نفسها غيرُ مستبعد من بنت التاسعة، وأما إذا كانت سنها يوم الزواج ثمانية عشر عاما فهذا الذي روته عن نفسها مستبعد من بنت الثامنة عشرة!.

أقول: نعم، فيه شيء من الغرابة، ولكن لا أراه شديد الغرابة ولا مستبعدا، ولعل هذا كان في الفترة الأولى بعد الزواج، خاصة وأنها لم تحمل جنينا فيلهيها عن تلك اللعب اللاتي تلعب بهن مع صويحباتها.

وهنا يحق للأخ الفاضل أن يتساءل: فماذا نقول في الحديث الذي تقدم من رواية أبي داود؟!، وهل استمرتْ على اللعب بالبنات والفرس الذي له جناحان حتى زمان غزوة تبوك أو خيبر؟!.

أقول:

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع، وكانت غزوة خيبر قبلها بعامين ونصف في المحرم سنة سبع، وكان عمر السيدة عائشة يوم غزوة تبوك قرابة ستة وعشرين عاما، لكنهذا الحديث في سنده ضعف، وهو معلول بالاضطراب:

فأما السند ففيه يحيى بن أيوب الغافقي المصري، وهذا وثقه العجلي ويعقوب بن سفيان والبزار وإبراهيم الحربي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: صدوق.

وقال فيه ابن حنبل: سيئ الحفظ. وقال ابن سعد: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: محله الصدق، يُكتب حديثه ولا يُحتج به. وقال الإسماعيلي: لا يُحتج به. وقال أبو أحمد الحاكم: إذا حدث من حفظه يخطئ، وما حدث من كتاب فليس به بأس. وقال الدارقطني: في بعض حديثه اضطراب.

فمثل هذا الراوي إذا انفرد بشيء فإنه ليس بحجة.

وأما الإعلال بالاضطراب فإن أبا داود والبيهقي رويا هذا الحديث من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم **عن يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية** عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة، ورواه ابن حبان من طريق عبد الله بن وهب **عن يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية** عن سالم أبي النضر عن عروة عن عائشة أنها قالت: دخل علي صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب باللعب، فرفع الستر وقال: "ما هذا يا عائشة؟". فقلت: لُعب يا رسول الله. قال: "ما هذا الذي أرى بينهن؟". قلت: فرس يا رسول الله. قال: "فرس من رقاع له جناح؟". قالت: فقلت: ألم يكن لسليمان بن داود خيل لها أجنحة؟!. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتبين أن يحيى بن أيوب قد اضطرب في رواية هذا الحديث سندا ومتنا، حيث وهِم في تغيير أسماء بعض رجال السند وزاد في المتن قصة القدوم من غزوة، وهو موصوف بسوء الحفظ وبأنه في بعض حديثه اضطراب، وهذا كاف في رد روايته هذه.

وأستغرب ممن يحسن الرواية التي انفرد بها يحيى بن أيوب مع أنه قد اضطرب فيها سندا ومتنا.

وحيث إن أصل الحديث ثابت في الصحيحين من رواية عروة عن عائشة بدون ما زيد فيه فرواية يحيى بن أيوب من طريق عروة متوافقة مع رواية الصحيحين، فالظاهر أنها هي الصحيحة، وأنه كان ضابطا لها، وأن روايته الأخرى هي التي حصل فيها الخلل، وهي التي جاء فيها ذكر قدومه صلى الله عليه وسلم من غزوة مع تغيير في بعض رجال السند، وأنها هي الرواية الضعيفة.

* ذكرتُ في البحث قصة مجيء خولة بنت حكيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة وعَرْضَها عليه أن تخطِب له **ولم يكن عنده زوجة أخرى غير خديجة،** وقلت: يدل السياق على أن خولة رضي الله عنها أرادت أن تخطِب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة **لأنه أصبح بلا زوجة،** وفي غاية البعد أن تخطِب له في هذه الحال من لها من العمر ست سنوات!!، لكن إذا كانت بنت أربع عشرة سنة فهذا معقول.

فعلق الأخ الفاضل على ذلك بقوله عني: "يستنتج أنه من غاية البعد أن تخطب خولة للنبي صلى الله عليه وسلم فتاة لها من العمر ست سنوات، ويختصر الرواية ولا يذكر خاتمتها التي صرحت بعمر السيدة عائشة عن ذلك، بل يخالف استنتاجَه كذلك روايةٌ رواها الإمام أحمد وغيره عن السيدة خولة بنت حكيم وفيها تصريح بأن السيدة عائشة كان عمرها تسع سنوات".

أقول:

الاستبعاد للرواية هنا هو من باب أن الرجل الذي ماتت زوجته **وليس له زوجة أخرى غيرها** لا يُعقل أن تُخطب له بنت ست سنين. فتنبه.

أما مسألة اختصار الرواية وأني لم أذكر خاتمتها التي صرحت بعمر السيدة عائشة فهذا لا بد فيه من بيان وإيضاح:

روى الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه في مسنديهما عن محمد بن بشر العبدي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أنهما قالا: لما هلكتْ خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟!. الحديث. وفي آخره: "قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل بيتنا، وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ بنت تسع سنين".

ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي من طريقين آخرين عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة به نحوه.

فالرواية في مسندي أحمد وإسحاق صورتها صورة الإرسال، **ولكن الحديث حديث عائشة**، بدليل أن في آخر الرواية عندهما "قالت عائشة: فقدمنا المدينة، وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ بنت تسع سنين". وصرحت الرواية في المصادر الأربعة الأخرى كذلك بأن إسناد الرواية هو "عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة". فرجع هذا الحديث إلى أنه من رواية عائشة نفسها.

وأستغرب ممن يذكر اللفظ الذي جاء في مسند أحمد وفيه خلال سرد القصة: "فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعتْه فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين". يظن أن هذا يؤيد ما جاء عن عائشة!، وكأن هذه الرواية رواية غيرها لا روايتها هي!، وهذا الظن مجانب للصواب، فالحديث حديث عائشة، كما في أكثر المصادر، وهذه الكلمة هي من أحد الرواة مما أخذه من قول عائشة في الرواية ذاتها، وقد جاءت هذه الكلمة عند إسحاق بن راهويه وابن أبي عاصم والحاكم "وهي يومئذ ابنة ست سنين"، وجاءت عند الطبراني "وأنا يومئذ ابنة ست سنين". وهذا من أسلوب الالتفات، واستعماله كثير في الروايات الحديثية.

وأؤكد فأقول: هذه الرواية هي عن عائشة، وهي لا تفيد أمرا زائدا على ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها من قولها، والذي يفيد في الموضوع هنا هو أن تأتي رواية عن أحد الصحابة الآخرين بسند صحيح بمثل ما ثبت عن عائشة من أنها كانت يوم زواجها بنت تسع سنين، وهذا ما لم أجده حتى الآن.

وقول الأخ الفاضل هنا "روايةٌ رواها الإمام أحمد وغيره عن السيدة خولة بنت حكيم" هو مخالف للحقيقة والواقع، وهو كلام من لا اشتغال له بكتب الحديث، لأن قوله هذا يعني أن هذا الحديث في مسند الإمام أحمد هو من مسند خولة بنت حكيم وروايتها، وليس الأمر كذلك، فخولة بنت حكيم في هذا الحديث ـ في مسند أحمد ومصادر الحديث الأخرى ـ هي مجرد خاطبة، لم تحدِّث هي به قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا حدَّث به عنها أحد الرواة، وهو من مسند عائشة وروايتها.

* قلت في البحث: ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى أن الحديث إذا خالف متنُه ما هو أقوى ثبوتا منه من ثوابت التاريخ فإنه يُرد، لأن ذلك يدل على أنه قد تطرق إليه الخلل بسبب وقوع أحد رواته في الوهَم.

فعلق الأخ الفاضل على ذلك بقوله: [لو أن ما يعتمِد عليه رواياتٌ ثابتة في تحديد تاريخ ولادة عائشة رضي الله عنها ومتفق عليها بين المؤرخين لكان بالإمكان أن نرد الروايات الصحيحة المنقولة عنها بسبب إمكان تطرق الوهم والنسيان إليها، ولكن عندما نجد أن هذه الروايات التاريخية التي يستند إليها مطعون فيها، ونجد من التابعين والحفاظ والمحدثين يروون خلافها فهذا يجعلنا نتمسك برواية الصحيحين وغيرهما ونستبعد طروق الوهم والنسيان إليها، ومن ذلك ما قاله الحافظ الذهبي رحمه الله: "وكانت ـ يعني أسماء ـ أسن من عائشة ببضع عشرة سنة". (سير أعلام النبلاء 2/ 188) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ولدت عائشة رضي الله عنها بعد المبعث بأربع سنين أو خمس". (الإصابة : 8/ 16)].

أقول:

قوله "نجد من التابعين والحفاظ والمحدثين يروون خلافها" فيه تجاهل لأمثال هؤلاء من الرواة الذين رووا الأحاديث المشتملة على قرائن حديثية مخالفة لحديث عائشة، والتي أهملها الأخ الفاضل ولم يذكرها.

قول الذهبي وابن حجر وغيرهما من العلماء السابقين واللاحقين هو بحسب الرواية المشهورة التي هي أمام أعينهم بالأسانيد الصحيحة المتعددة عن عائشة رضي الله عنها، وهذا ليس قولا قالوه بعد تمحيص وتدقيق، وإنما هو قول مشهور نقلوه.

الإمام الذهبي رحمه الله قال في سير أعلام النبلاء عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما إنها كانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة، وهذا في ترجمة أسماء، ولكنه قال بعد بضعة أسطر "قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: كانت أسماء أكبر من عائشة بعشر".

ثم قال الذهبي في السير بعد ذلك في ترجمة ولدها عبد الله بن الزبير: كانت أسن من عائشة بسنوات. ثم قال: قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين. وعلق عليه بقوله: "فعلى هذا يكون عمرها إحدى وتسعين سنة، وأما هشام بن عروة فقال: عاشت مئة سنة ولم يسقط لها سن". وذكر في تاريخ الإسلام في ترجمة أسماء قول ابن أبي الزناد وعلق عليه بمثل ما علق به عليه في السير.

فأنت ترى أن الذهبي العالم المؤرخ يذكر ـ هنا ـ الروايات المختلفة وكأنه متردد في الترجيح بينها، ولم يقف عندها طويلا للجمع والمقارنة والترجيح، مع أنه كان قد قال في ترجمة عائشة قبل ترجمة أسماء وترجمة عبد الله بن الزبير: "عائشة ممن وُلد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين، ودخل بها وهي ابنة تسع"!، ولو كان مستمرا على جزمه بما ذكره في ترجمة عائشة لزيف ما ذكره عنها في ترجمة أختها أسماء وترجمة ابن أختها عبد الله بن الزبير.

* إذا كانت القرائن التاريخية التي أوردتُها غير كافية فهناك **قرائن من كتب الحديث** تشير إلى أن عائشة رضي الله عنها كانت أسنَّ مما ورد في الرواية المشهورة، وهي القرائن التي جاءت في بحثي تحت الأرقام التالية 2، 3، 7، 8، 9، 10، وكأن الأخ الفاضل أعرض عنها لأن نفسه لا تحتمل أن تراها، أو لعل له ملحظا آخر، والله أعلم، فلا هو ذكرها، ولا هو أشار إليها مجرد إشارة، وهي قرائن تاريخية من كتب الحديث.

ثم وجدت بعض من وقف على مقالتي ومقالة الأخ الباحث المعترض على البحث فرجح قوله على قولي حتى بعد أن علم أن هذا الأخ الباحث أغفل الكلام على ست قرائن إغفالا تاما!!.

وأكرر القول بأن القرائن غير الأدلة، واجتماع عدة قرائن يشكل دليلا، وإذا كثرت القرائن فإنها تشكل دليلا قويا على ما دلت عليه.

* قال الأخ الفاضل عني: "يعتمد في الفرق العمري بين عائشة وأسماء رضي الله عنهما على رواية ابن أبي الزناد دون أن يتطرق للروايات الأخرى، ودون أن يتطرق إلى ما قيل فيه من الجرح والتعديل".

ثم قال: " لا يصح الاعتماد على رواية ابن أبي الزناد، وذلك لما يأتي: 1- انفراد عبد الرحمن بن أبي الزناد (100هـ - 174هـ) بتحديد الفرق بين عمري أسماء وعائشة رضي الله عنهما بعشر سنين، وأما الأدلة

السابقة فهي أدلة كثيرة جاءت عن غير واحد من التابعين، ومعلوم أن الكثرة تقدم على القلة. 2- لأن الرواية التي نقلها عنه ابن عبد البر في الاستيعاب ليست على سبيل القطع بل فيها تردد، حيث قال فيها: وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها. فقوله "أو نحوها" توافق الروايات المشهورة أن بينهما بضع عشرة سنة. 3- تضعيف أكثر أهل العلم لعبد الرحمن بن أبي الزناد نفسه: فقد جاء في ترجمته في تهذيب التهذيب (6/ 172) قول الإمام أحمد فيه: مضطرب الحديث. وقول ابن معين: ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث. قال ابن حبان: كان عبد الرحمن ممن ينفرد بالمقلوبات عن الأثبات وكان ذلك من سوء حفظه وكثرة خطئه فلا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات فهو صادق. قال الحافظ الذهبي: قلت: هو حسن الحديث. ويتبين من هذا أن ما ينفرد به ابن أبي الزناد ويخالف به الثقات لا حجة فيه".

أقول:

القول التاريخي الذي يقوله رجل من أتباع التابعين وتؤيده روايات فيها قرائن متعددة لا يجوز إغفاله.

أقوال المتأخرين في تحديد عمر السيدة عائشة هي نقل لما عندهم من الرواية المشهورة واستنساخ لما فيها.

السؤال الآن: هل يوجد أي مصدر آخر في هذه المسألة غير ما قالته أم المؤمنين عائشة؟!!، ومن قال نعم محتجا بالروايات الواردة عنها فهو احتجاج على الدعوى بالدعوى ذاتها، لأن السؤال هو عن أي مصدر آخر، فقوله **مصادرة على المطلوب**.

عبد الرحمن بن أبي الزناد مدني من أتباع التابعين، صدوق لقنوه أحاديث ببغداد فحدَّث بها، فضعَّف الأئمة ما حدَّث به من الحديث ببغداد دون ما حدَّث به بالمدينة، وقد رجع الأخ الفاضل إلى تهذيب التهذيب ونقل منه بعض الأقوال في تضعيفه وتجاهل ما يقابلها، فمما ورد فيه في الكتاب ذاته:

قال موسى بن سلمة: قدمت المدينة فأتيت مالك بن أنس فقلت له إني قدمت إليك لأسمع العلم وأسمع ممن تأمرني به. فقال: عليك بابن أبي الزناد. وقال أبو داود عن ابن معين: أثبت الناس في هشام بن عروة عبد الرحمن بن أبي الزناد. وقال علي بن المديني: ما حدث بالمدينة فهو صحيح وما حدث ببغداد أفسده البغداديون. وقال يعقوب بن شيبة: ثقة صدوق وفي حديثه ضعف. وقال أحمد فيما حكاه الساجي: أحاديثه صحاح. وقال ابن معين فيما حكاه الساجي: عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة حجة. وقال الترمذي والعجلي: ثقة. وقال الآجري عن أبي داود: **كان عالما بالقرآن عالما بالأخبار**.

لا شك في أنه ليس بحجة في رواية الحديث الذي ينفرد بروايته، ولكن قوله وهو مدني في أمر تاريخي في أعمار الصحابيات المدنيات مقبول لا أرى مسوغا لعدم قبوله، وقد أثنى عليه أبو داود وقال: **كان عالما بالأخبار**. فإذا قال لنا "كانت أسماء بنت أبي بكر أكبر من عائشة بعشر سنين" فإن من غير المقبول تضعيفَه هنا وردَّ روايته.

القول بأن هناك **أدلة سابقة كثيرة جاءت عن غير واحد من التابعين** كلام لم يذكر قائله دليلا واحدا من تلك الأدلة التي جاءت عن غير واحد من التابعين، بل ولا قول أي واحد من التابعين.

هناك جماعة من التابعين سمعوا من عائشة رضي الله عنها حديثها في مقدار عمرها يوم العقد عليها ويوم زواجها ورووه عنها، لكن هل هناك تابعي واحد قال إن النبي صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة وهي ابنة ست أو تزوجها وهي ابنة عشر؟!. إن وجدنا ولو واحدا جاز لنا أن نقول إن هذا القول قال به فلان من التابعين، وإلا فلا.

كلمة "وكانت أكبرَ من عائشة بعشر سنين أو نحوها" تعني أن الفرق عشر سنين قد تزيد قليلا أو تنقص قليلا، أي قد تزيد أو تنقص بأشهر أو بسنة مثلا، وتفسيرها بأنها قد تزيد بضع سنوات بعيد في الاستعمال اللغوي، فلو كان الفرق سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة مثلا فلا يقول القائل إن الفرق بينهما "عشر سنين أو نحوها".

ثم إن أسماء توفيت بعد الهجرة بثلاثة وسبعين عاما وقد بلغت مئة، وهذا يعني أنها ولدت قبل البعثة النبوية بأربعة عشر عاما، وإذا كانت عائشة قد ولدت بعد البعثة بأربعة أعوام . وهذا على القول المشهور . فإنه يعني أن أسماء أكبر منها بثمانية عشر عاما!. فهل هذه النتيجة متوافقة مع الروايات المروية عن عائشة؟!.

* من الأمور المهمة في الموضوع هو أن الأخ الفاضل لا يفرق في هذا الحوار بين الدليل وبين القرينة، فيناقش القرائن على أنها أدلة، ويردها بحجة أنها لا ترقى لمستوى الدليل.

لو تأمل كلامي حيث أقول إنها قرائن لكان حواره مختلفا جدا، ولو كنت أرى أن كل واحدة من تلك القرائن على درجة عالية من القوة لسميتها أدلة، ولكنني قلت إنها قرائن، والقرائن ليست بمستوى الأدلة.

أين الدليل إذن؟.

الدليل هو مجموع القرائن، واجتماع تلك القرائن العشر على أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت قد ولدت قبل البعثة النبوية وليس بعدها بأربع سنوات هو الدليل على أنه قد حصل في المسألة وهَم.

أتمنى من الأخ الفاضل والقراء الكرام قراءة تلك القرائن العشر بهدوء وتأمل وروية، ويبقى بعد ذلك لكل منا إن شاء الله اجتهاده وأجره، وهو يتولى الصالحين.

{ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم}.

وكتبه صلاح الدين الإدلبي في 19/ 4/ 1439، الموافق 6/ 1/ 2018، والحمد لله رب العالمين.